

المسحراتي.. والجدة



في البيت الكبير الذي يضم عائلة كبيرة، كانت الجدة سلطنة، كبيرة العائلة، تجمع أحفادها البنات والأولاد، وتحكي لهم الحكايات والقصص الجميلة، كانوا يحبونها كثيراً، ويسمعون كلامها ويطيعونها، فهي لهم القدوة الحسنة والمثل الأعلى، تحبهم وتحن عليهم. أحفادها هم: سمر وندى وليلى ومحمد وياسر وأحمد وياسين

فكرت الجدة سلطنة أن تحكي لهم قصة «مسحراتي رمضان»، فالتف الأطفال حولها وبدأوا يستمعون إليها ويستمتعون بحديثها وقصتها الشيقة، بعد أن سألوها من هو المسحراتي؟ وماذا يفعل؟. نظرت الجدة إلى أحفادها في سعادة، وقالت: جاءت كلمة مسحراتي من السحور، أي وجبة السحور التي يتناولها الصائم استعداداً للصيام قبل صلاة الفجر، ومهمة المسحراتي هي أن يطوف داخل الشوارع وينادي على الأشخاص الذين يعرف أسماءهم، وكذلك يقول المقولة الشهيرة التي أصبحت من معالم شهر رمضان المبارك، وهي «إصحى يا نايـم.. إصحى وحد الدايم.. رمضان كريم»، ويحمل في يده طبلية صغيرة يقرع عليها بواسطة قطعة من الجلد، بطريقة معينة لا تزال عالقة في ذهن من حضروها أو يسمعونها حتى الآن.

وبدأت تلك الوظيفة مع بدء التاريخ الإسلامي، فبلال بن رباح، أول مؤذن في الإسلام، اعتاد أن يخرج قبل صلاة الفجر يوماً طوال الشهر الكريم، يمر على بيوت المسلمين ويشدو بصوته الجميل، بأجمل الكلمات لإيقاظ المتسحرين، وكان هناك أيضاً عبد الله بن أم مكتوم، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: بلال يؤذن بالليل.. فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فامتنعوا عن الطعام. فقال الحفيد ياسين: يا جدي أعرف بلال، رضي الله عنه، مؤذن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، فقد شرح قصته لنا المعلم في حصة الدين في المدرسة

قالت الجدة: ما شاء الله عليك يا بني، وواصلت: يقترن اسم المسحراتي يا أولادي في بلاد العرب الإسلامية بوجبة السحور، وله أسماء كثيرة مثل «النفار»، و«أبو طيبة»، و«المفلح»، و«المسحر». ويقولون دائماً (اصحى يا نايم وحد الداي) وهذه الجملة من أشهر العبارات التي اعتدنا على سماعها على دقات طبلة صغيرة يحملها لإيقاظ المسلمين لتناول السحور، كما قلت لكم، استعداداً ليوم جديد من أيام صوم رمضان

وكان بعض المسحراتية في الماضي يحملون فانوساً يرافقه به رجل آخر، أما الآن فأنوار الكهرباء وزينة رمضان تضيء جميع الأماكن والأحياء، والمسحراتي ينادي على الناس بالأسماء، وخصوصاً الأطفال.. ويفرحون جداً بذلك

وأكملت الجدة سلطنة قصة المسحراتي قائلة: ظهرت مهنة المسحراتي في مصر في عهد الدولة الفاطمية أيام السلطان الحاكم بأمر الله، فكان يأمر بأن ينام الناس عقب صلاة التراويح، وكان جنوده يمرون على جميع المنازل يطرقون الأبواب قبل أذان الفجر، ليوقظوا النائمين، فكل بلد يا أحفادي طابعه الخاص في دعوة الناس إلى السحور، وهذا الاختلاف نتيجة طبيعية لاختلاف كل بلد عن الآخر في التقاليد والعادات. والمسحراتي من أبرز الشخصيات في رمضان، ويعتبر رمزاً للشهر المبارك، وهو يدق طبلة، وينادي على الناس، وينشد أناشيد دينية فيها ابتهالات إلى الله تعالى بأسلوب شعبي بسيط. أما بالنسبة لأجر المسحراتي في أيامنا هذه، فقبل العيد يأخذ العيديد من الناس كل حسب مقدرته

نظرت الجدة سلطنة في ابتسامة عريضة وقالت: والآن يا أحفادي جاء موعد النوم حتى تستطيعوا أن تستيقظوا للسحور، فذهب الأولاد للنوم، وقبل الفجر مرت عليهم وأخذت تنادي على كل واحد باسمه، حتى يستيقظوا ويسمعوا صوت المسحراتي

استيقظ الآباء والأمهات والأحفاد، وتجمعوا حول الجدة سلطنة وانتظروا ليسمعوا صوت المسحراتي، وبعد دقائق سمعوا صوته يعلو ويقول: (اصحى يا نايم وحد الداي.. رمضان كريم). وكانت المفاجأة عندما سمع الأحفاد صوت المسحراتي وهو ينادي عليهم بأسمائهم

صفق الأولاد من الفرحة، وعرفوا أن الجدة سلطنة اتفقت مع المسحراتي على أن ينادي عليهم ليقوموا للسحور، ثم التفوا حول المائدة بنية الصيام